الفعل الارادى

تأليف الدكتور أبو مدين الشافعى

فى مصر اليوم حركة ظاهرة ونشاط ملموس من جانب المهتمين بالدراسات النفسية .

ولدراسة علم النفس مكانتها فى العصر الحديث ولقد فطنا فى مصر أخيراً إلى هذا ، فصار عندنا علماء أفاضل يعملون على نشر علم النفس ودراسته بالأساليب الحديثة والوسائل العلمية .

والكتاب الذى أعرض له الآن ، هو للدكتور أبو مدين الشافعى مدرس علم النفس بكلية الآداب ، وهو نتيجة دراسات طويلة وتجارب كثيرة وعمل متصل فى هذا الباب . ولذا استوفى الكتاب جانب العرض النظرى للافكار المتعلقة بالإرادة والأعمال الإنسانية وفكرة الجبر والاختيار ، كما أنه شمل كثيراً من التجارب الدقيقة التى استفاد الدكتور من إجرائها إيمانه الشخصى بالعمل الذى يؤديه والنتائج التى يقول بها غير معتمد فى هذا على الأعمال التى انتهى بها مؤلفو الغرب وعلماؤه إلا من ناحية التوجيه والأسلوب فحسب . ولذلك كثيراً ما تراه يخالف الرأى الذى يذهبون إليه ويجمعون عليه خصوصاً وأنه فى دراسته إنما يهتم بالشخصية المصرية التى لها من الظروف والأحوال ما يختلف اختلافاً كبيراً عن سواها .

والذى يدلك على أن الدكتور يقدم إليك مادة استوفى بحثها واستكمل أداتها هو أنه قد تخصص فى هذا الموضوع بالذات . فله كتاب سابق هو كتاب الانتباه الإرادى وكتاب آخر باسم التعب . فدراسته ليست مرتجلة ، بل هى نتيجة تخصص وعناية طويلة بالموضوع . وهذا يظهر لك من قوله : « يمكن عد الانتباه الإرادى أهم ركن للفعل الإرادى ، إذاً فدراسة الانتباه هى المقدمة الضرورية لدراسة هذا الفعل . وعملية العزم تبدأ فى مرحلة الانتباه أو الاختيار وتنتهى بالتنفيذ »

فهو إذاً قد نظم عمله بحيث بدأ بدراسة الانتباه ليخلص فى النهاية إلى دراسة الفعل الإرادى نفسه . وهو لا يدرسه نظرياً على الطريقة القديمة ، وإنما يعمد إلى التجارب فيستمد منها الدليل على الخطوات التى يخطوها فى هذا السبيل . ولذلك كان عمله متصلاً بجسم الإنسان ونفسه مما بحسبانهما وحدة لا يمكن أن يدرس منها جانب على انفراد . « وليمكن الوقوف على هذه المرحلة من الفعل الإرادى لابد من إلقاء نظرة على أسسه البيولوجية لنوضح الفروق بين أنواع الفعل بوجه عام ، ولنصل إلى مميزات الفعل الإرادى ، وما هو دور الكف والتركيز فى عملية التنفيذ» وهو لا يعنى بالجسم وأوضاعه على هذا الوجه فحسب ، بل يؤمن أيضاً من ناحية أخرى بأنه لابد من بحث صلة الفعل الإرادى بالعوامل النفسية البحتة قبل التطور الذهنى والانفعال والضبط ، على أن يكون هذا البحث على نمط علمى بعد أن طال النقاش حوله فى الميدان الفلسفى » .

فأساس نظرته إذاً هو التكامل . وهذا يتجلى بوضوح فى محاولة الربط بين العوامل النفسية فى الفعل الإرادى وبين الحديث عن الوسائل التى تحدد لنا حالات الجسم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يقول بوجود صلة بين النشاط الإرادى وما يسميه بالمجال الحيوى وهو المجال الذى يضمن للشخص توازناً عاماً يحقق به أغراضه الحيوية . وعنده أن المجال الحيوى يتوقف على مجالات أخرى مثل المجال الجسمى والمجال الاجتماعى والمجال الطبيعى والمجال الذهنى ، فالمجالات الثلاثة الأولى يشمل كل منها المجال الذى يسبقه ، فالمجال الطبيعى يشمل المجال الاجتماعى ، ويشمل هذا بدوره

عزيمتى ولم يشدنى إلى آناق كان حرياً أن لا أقف عليها . كتاب بدل عندى قيم الأشياء وجعلنى أستمير من الطفل رغبته الدائمة فى الاستطلاع وإلحاحه المستمر فى الاستفهام والسؤال .

وكأنى بالأستاذ سلامه موسى يريد أن يقول لقرائه : كونوا كونيين ... إفتحوا أذهانكم لكل جديد ... لا تعيشوا بعيداً عن الواقع ... انهلوا من موارد المعرفة غزيراً ، .. قاوموا السلفية والتأخرية والجمود ... تعصبوا للبشرية عامة ... آمنوا فبغير الإيمان لا يكون للحياة معنى ... اطلبوا مزيداً من الحياة لتزدادوا ثقافة واتساع فكر .

وديع فلسطين

(المحرر بالمقطم — القاهرة)

المجال الجسمى ، وأما المجال الذهنى فإنه يربط بين هـذه المجالات كلها .

فهو إذن عالم يدرس مسـائل الاجتماع ومظاهر الطبيعة ، وحالة الإنسان ، ينتهى منها جميعاً إلى الرأى الذى يعمل به فى علاج الحالات المرضية المختلفة . وليس أدل على نزاهته العلمية من قوله : « ولم يكن بيير جانيه مخطئاً حين نسب إلى النشاط الحركى وإلى العمل المضلى قدراً من المجهود أكبر مما يبذله النشاط الذهنى ، وذلك لأن الأفعال الفكرية ، أفسح حرية من الأفعال الحركية الخارجية » . فهذا الرأى يخالف ما هو شـائع بين عامة الأدباء الذين يريدون أن ينسبوا إلى أنفسهم امتيازاً على العامة فى المجهود الذى يبذلونه ، والمشاق التى يتكبدونها ، والذين يقولون دائماً أن نشاط الذهن أثقل على النفس وأدعى للتعب من المجهود اليدوى .

والذى أعتقد أن الذى أفاد الدكتور كثيراً فى دراسته هو عنايته بالدراسة العملية من جهة واشتغاله بمعالجة الحالات المرضية من جهة أخرى . ولذلك كثرت فى كتابه الأمثلة التى يذكرها تأييداً لفكرته فى أنه إذا شئنا معالجة المرض النفسى فعلينا أولا وقبل كل شىء أن نغير من المجال الذى يعمل فيه الشخص المريض ، كما أنه من الواجب أن نوفر له الجو الذى يتلاءم مع طبيعة مرضه ؛ فالحالات المرضية الداخلة فى نطاق علم النفس تحتاج إلى معرفة طرق التغيير ولا تكتفى بالوقوف على الحالة الراهنة وعلى نوع المرض . ففكرة المجالات الحيوية من شأنها أن توجد لنا حلولا كثيرة لأمراض بقيت ألغازا إلى يومنا هذا . وعلى هذا الأساس قال بصراحة الطبيب والعالم معا : « فالعدد الكبير من المصابين بالأمراض العقلية فى العالم لا يمكنه أن يجد الشفاء بين جدران المستشفيات ، ويتطلب أغلبهم مجالا خاصاً يساعدهم على استرجاع توازنهم العقلى وضبطهم الإرادى . فمن العبث إذاً محاولة علاج المصاب بالشعور بالنقص عن طريق الوعظ أو الحقن ، فلا بد من أن نضعه فى المجال الذى يرجع له ثقته بنفسه ليقاوم حسب مقدرته الخاصة » .

والذى آخذه على الدكتور هو أنه كان يذكر أحياناً كثيرة بعض أسماء العلماء باللغات الأجنبية دون محاولة ترجمتها صوتياً فى ألفاظ عربية . وكذلك كان يفعل أحياناً عند ذكر الكتب وأسمائها . والأفضل أن يذكر الكتاب بلغته الأصلية وبالترجمة العربية لاسمه فى الوقت نفسه . ومن حيث المراجع التى أشار إليها فى أسفل الصفحات تعد دقيقة ومتقنة ، بيد أنه ينقصها الترجمة بل إن الترجمة العربية لها وحدها تكفى طالب علم النفس والقارئ العادى . وآخذ عليه أيضاً أنه مقل فى الكتب التى يظهرها مع حاجتنا الماسة إلى مجهود كبير فى هذا الباب من الدراسات النفسية . ونحن فى بدء نهضة علمية من هذا النوع يفيدها الاطلاع والقراءة أكثر مما يفيدها عمل الدكتور الخاص فى معمله أو فى عيادته . وحبذا لو قام مع بعض تلاميذه بترجمة بعض الكتب الهامة التى تعد من المراجع الأساسية فى علم النفس . وأما من جهة اللغة التى كتب بها الكتاب فعلى الرغم من سلامتها ومن امتيازها على كتاباته السابقة فإنها ينقصها عنصر المرونة والتوضيح . فكثيراً ما كان الدكتور يكتفى بالفكرة يذكرها عارية فى جملة أو جملتين دون أن يحاول تفنينها وربطها بما يليها ربطاً جيداً . ومن هنا بدا الكتاب جملة من اللمحات والضربات الخاطفة ...

وهذا ، على كل حال ، لا ينقص من قدر الكتاب ، بل على العكس يدل على أن الكمال الإنسانى مستحيل . وللدكتور منا الإعجاب بعمله القيم النفيس .

عبد الفتاح الربيرى

إدارة البلديات العامة — عمرانى

تقبل العطاءات بمجلس مهيا القروى حتى ظهر يوم ١٩٤٨/٦/٨ عن توريد ٨٥ أردباً من الشعير و ٣٥ حملا من تبن القمح وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس مجانا على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليما .

٩٤٢١